الأسطورية ونسبتها إلى زمن ازداد فيه تعقد العلاقات الإجتماعية وغناها . اليونان التي ازدهر فيها المسرح لم تكن يونان الرعاة والمجتمع البدائي ، بل كانت يونان الدولة ــ المدينة المزدهرة التي نشطت فيها الزراعة والحرفة والتجارة ، والأهم من ذلك كله بالنسبة إلى الفن ، هو تكونُ نموذج الانسان الجديد المختلف عن انسان عصر هوميروس . لقد تغيرت نظرة الانسان إلى مميزاته ومواهبه وتغيرت نظرة المجتمع اليه ، وتبدل تصوره حول ذاته وحول الآلهة . تلاشت الآن الياذة هوميروس الساذجة حيث كانت الآلهة لاتتميز عن البشر الا بخلودها وقوتها الخارقة في حين تظل في سلوكها العام كالبشر خيرة أوشريرة ، وحـــل محلها وعي ديني أشد تعقيداً بعد آن أصبح الانسان مقياس الأشياء . فأصبح الآلهة الذين بقوا ظاهرياً كاالبشر ، حملة قواعد السلوك والمثل الأخلاقية الرفيعة . واذا كنا نتحدث عن التواصل الفكري بين كاتب مسرحي وآخر ، فاننا نعني بالدرجة الأولى هذا التطور المستمر في فكرة الشخصية الانسانية التي غدت أساس كل تفكير في العالم والحياة ، وهذا التعمق المتواصل في سبر أعماق النفس الانسانية .

اسخيلوس : نبدأ استعراضنا لأعمال اسخيلوس بالحديث عن مأساته « الفرس » . لم تضم أية مأساة من أعمال الكتاب المسرحيين اليونانيين العظماء أبطالا تاريخيين غير اسطوريين بقدر مافعلت « الفرس » . ففي هذه التراجيديا نجد آتوسا وداريوس وكسيركس وهؤلاء جميعاً شخصيات تاريخية حقيقية كما أن زمن الأحداث ليس الماضي الغابر بل هو عام ٤٨٠ ق . م الذي هزم فيه اسطول الفرس وجيشهم البري هزيمة نكراء فوق الأرض اليونانية . أضف إلى ذلك أن الكاتب نفسه ، اسخيلوس ، اشترك في القتال في معركة الماراثون وفي سالامين وغيرها ، ولا يجوز أن نمر مرور الكرام بهذه الحالة الوحيدة الفريدة من نوعهـــا حيث يقوم الكاتب المسرحي اليوناني بالمزج بين خياله الشعري والأحداث الحقيقية التي عاشها .

تجري أحداث المأساة في معسكر أعداء اليونانيين ، في عاصمة الفرس سوزه . ونحن لانعرف انتصار اليونان العظيم إلا من أقوال أعدائها . يسمى هؤلاء الأعداء انفسهم « بالمتوحشين » . ذلك تناقض يثير ابتسامتنا ، فهذه التسمية لم يطلقها على الشعوب غير اليونانية الا اليونانيون أنفسهم ، برغم أنهم لم يكونوا يقصدون بهذه الكلمة مانفهمه منهـــا اليوم . ولو استعرضنا في الواقع احداث المأساة لما وجدنا فيها أي متوحش ، ومع ذلك يوحي لنا نص « الفرس » ونحن نقرؤه بمعنى كلمة « المتوحشين » المعاصر . فمن أين يأتي